﴿ تفسير سورة المزمل عليه السلام وهى مكية ﴾

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطى حدثنا معلى بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش فى دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فتزمل فى ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يأيها المزمل) (يأيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل وهو التغطى فى الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا) قال ابن عباس والضحاك والسدى (يأيها المزمل) يعنى يأيها النائم . وقال قتادة : المزمل فى ثيابه . وقال إبراهيم النخعى : نزلت وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يأيها المزمل) قال يا محمد زملت القرآن . وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك فى ذلك . وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أى اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سفيان الثورى به وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قدمنا فى أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء فى الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » و « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » و « لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود » يعنى أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبرته لك تحبيرا ، وعن ابن مسعود أنه قال لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوى وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة فى ركعة . فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين فى ركعة وقوله تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال الحسن وقتادة أى العمل به وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضى الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك ثما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض » تفرد به أحمد . وفى أول صحيح البخارى عن عبدالله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى ؟ فقال « أحيانا يأتى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى صلى الله عليه وسلم فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبدالأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام ابن عروة عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين

وقوله تعالى (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا) قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : نشأ ، قام بالحبشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل وفى رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجلز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهى الآنات ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى (هى أشد وطأ وأقوم قيلا) أى أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا) فقال له رجل إنما نقرؤها وأقوم قيلا ، فقال له إن أصوب وأقوم وأهيأ واشباه هذا واحد . ولهذا قال تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى مسلم : الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثورى : فراغا طويلا . وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا . وقال السدى (سبحا طويلا) تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال لحوائجك فأفرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ثم قرأ (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه — حتى بلغ — فاقرءوا ماتيسر منه) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهذا الذى قاله كما قاله .

والدليل عليه مارواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبى عروبة عن قتادة عن زرارة ابن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله فى الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقى رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « أليس لكم فى أسوة حسنة ؟ » فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال ائت عائشة

فسلها ثم ارجع إلى فأخبرنى بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته اليها فقال ما أنا بقاربها إنى نهيتها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما إلا مضياً ، فأقسمت عليه فجاء معى فدخلنا عليها فقالت: حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا الذى معك ؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام ؟ قال ابن عامر قال فترحمت عليه وقالت نعم المرء كان عامرا قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدالى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل ؟) قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة . فهممت أن أقوم ثم بدا لى وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك احدى عشرة ركعة يابنى ، فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يابنى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ولا أعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله فى ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بتمامه وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بنحوه

﴿ طريق أخرى عن عائشة رضى الله عنها فى هذا المعنى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثنى محمد بن طحلاء عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلى عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحيما فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكلفوا من الأعمال ماتطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ماديم عليه » ونزل القرآن (يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله مايبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبى حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف والحديث فى الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قديوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هى مكية وقوله فى هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم فى رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفى سمعت ابن عباس يقول : أول مانزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى أسامة به وقال الثورى ومحمد بن بشر العبدى كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبى عبد الرحمن قال لما نزلت (يا أيها المزمل) قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقرءوا ماتيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصرى والسدى . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا معاذ بن هشام

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال : فقلت يعنى لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ (يا أيها المزمل) ؟ قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها فى السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل إلا قليل) قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد فى آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (يأيها المزمل) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك - إلى قوله تعالى - وأقيموا الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمى به ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله تعالى - فاقرءوا ما تيسر منه) فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق ، وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أى أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من أشغالك فانصب فى طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدى (وتبتل إليه تبتيلا) أى أخلص له العبادة ، وقال الحسن : اجتهد وأبتل إليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروى نهى عن التبتل يعنى الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج . وقوله تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) أى هو المالك المتصرف فى المشارق والمغارب الذى لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال تعالى فى الآية الأخرى (فاعبده وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة فى هذا المعنى فيها الأمر بافراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجرا جميلا وهو الذى لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذى لا يقوم لغضبه شىء (وذرنى والمكذبين أولى النعمة) أى دعنى والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم (ومهلهم قليلا) أى رويدا كما قال تعالى (فتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ولهذا قال ههنا (إن لدينا أنكالا) وهى القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجونى وأبو مجاز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدى وابن المبارك والثورى وغير واحد (وجحيما) وهى السعير المضطرمة (وطعاما ذا غصة) قال ابن عباس ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج (وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال) أى تزلزل (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أى تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شىء

إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أى واديا ولا أمتا أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمرادسائر الناس (إناأرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) أى بأعمالكم (كماأرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثورى (أخذا وبيلا) أى شديدا أى فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد ، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به ؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ، وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم ، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أى من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال الطبرانى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار ، قال من كم يا رب ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد » فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك فى وجوههم « إن بنى آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفى أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم فى أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث . وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى ، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لأنه لم يجر له ذكر ههنا ، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى يتذكر بها أولو الألباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده فى السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أى تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن تحصوه) أى الفرض الذى أوجبه عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما

قال فى سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدل أصحاب الإمام أبى حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهى قوله (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسىء صلاته الذى فى الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج فهى خداج غير تمام » وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعا « لا تجزىء صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » . وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه) أى قوموا بما تيسر عليكم منه. قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك ، قال الله تعالى للعبد الصالح (وإنه لذو علم لما علمناه) (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشىء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفى السنن « أوتروا يا أهل القرآن » وفى الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن أبى بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فالله أعلم . وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدى حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم (فاقرءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا فى معجم الطبرانى رحمه الله تعالى : وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال أن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتاده وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل « خمس صلوات فى اليوم والليلة » قال هل على غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى من الصدقات فان الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعلموا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ورواه البخارى من حديث حفص بن غياث والنسائى من طريق أبى معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أى أكثروا من ذكره واستغفاره فى أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره. آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المدثر وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

ثبت فى صحيح البخارى من حديث يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شىء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) كما سيأتى ذلك هنالك إن شاء الله تعالى . قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول مانزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذى خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لى فقال جابر لاأحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ونظرت أمامى فلم أر شيئا ونظرت خلفى فلم أر شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا ـ قال ـ فدثرونى وصبوا على ماء باردا ـ قال ـ فنزلت (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر) » هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه « فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلى فقلت زملونى زملونى فزملونى فأنزل (يا أيها المدثر . قم فأنذر ـ إلى ـ فاهجر) ـ قال أبو سلمة والرجز الأوثان ـ ثم حمى الوحى وتتابع » هذا لفظ البخارى ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضى أنه قد نزل الوحى قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذى كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شىء نزل بعد فترة الوحى هذه السورة كما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم فتر الوحى عنى فترة فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلى فقلت لهم زملونى زملونى فزملونى فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى وتتابع » خرجاه من حديث الزهرى به . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلى حدثنا المعافى بن عمران عن إبراهيم بن يزيد سمعت ابن أبى مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون فى هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبى ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) وقوله تعالى (قم فأنذر) أى شمر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (وربك فكبر) أى عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الأحلح الكندى عن عكرمة عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه

الآية (وثيابك فطهر) قال لاتلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

فانى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية (وثيابك فطهر) قال فى كلام العرب نقى الثياب وفى رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال إبراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثورى عن رجل عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الاثم ، وكذا قال إبراهيم النخعى وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفى رواية عنه (وثيابك فطهر) أى عملك فأصلح ، وكذا قال أبو رزين وقال فى رواية أخرى (وثيابك فطهر) أى لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أى طهرها من المعاصى وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهد الله إنه لدنس الثياب وإذا وفى وأصلح إنه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لاتلبسها على معصية . وقال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفى عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعنى لاتكن ثيابك التى تلبس من مكسب غير طائب ويقال لاتلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أى اغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لايتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجرى فأجملى

وإن تك قد ساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظى والحسن البصرى : وخلقك فحسن ، وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الأصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهرى وابن زيد : إنها الأوثان ، وقال إبراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أى اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشىء من ذلك كقوله تعالى (ياأيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين) (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) . وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لاتعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعى والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (ولاتمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصرى : لاتمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خصيف عن مجاهد فى قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن فى كلام العرب تضعف ، وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أى اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعى اصبر عطيتك لله عز وجل . وقوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد (الناقور) الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفى عن ابن عباس (فاذا نقر فى الناقور) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفى عن ابن عباس به .

وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أى شديد (على الكافرين غير يسير) أى غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول

الكافرون هذا يوم عسر) ، وقدروينا عن زرارة بن أوفى قاضى البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) شهق شهقة ثم خر ميتا رحمه الله تعالى

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خرج من بطن أمه وحده لامال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدودا) أى واسعا كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهودا) قال مجاهد لايغيبون أى حضورا عنده لايسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم ، وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ فى النعمة وهو إقامتهم عنده (ومهدت له تمهيداً) أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً) أى معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم ، قال الله تعالى (سأرهقه صعودا) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبدا » وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لانعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن المعروف بعلان المقرى قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعودا صخرة ملساء فى جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد (سأرهقة صعوداً) أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لاراحة فيه واختاره ابن جرير . وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أى إنما أرهقناه صعودا أى قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال (وقدر) أى تروى (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر) دعاء عليه (ثم نظر) أى أعاد النظرة والتروى (ثم عبس) أى قبض بين عينيه وقطب (وبسر) أى كلح وكره ومنه قول توبة بن حمير :

وقد رابنى منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتى وبسورها

وقوله (ثم أدبر واستكبر) أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال (إن هذا إلا قول البشر) أى ليس بكلام الله وهذا المذكور فى هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومى أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره فى هذا ما رواه

العوفى عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال ياعجباً لما يقول ابن أبى كبشة فوالله ماهو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبوجهل بن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال ألست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبوجهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتى ! فلا والله لا أقرب ابن أبى قحافة ولا عمر ولا ابن أبى كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (ذرنى ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لاتبقى ولاتذر) وقال قتادة : زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض مابين عينيه وكلح ، وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رق له فبلغ ذلك أباجهل بن هشام فأتاه فقال أى عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ، قال يعطونكه فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أنى أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لما قال وانك كاره له ، قال فماذا أقول فيه ، فوالله مامنكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذى يقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلو وما يعلى ، وقال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعنى حتى أتفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت (ذرنى ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوا من هذا ، وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلايستطيعون سبيلا) كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، قال الله تعالى (سأصليه سقر) أى سأغمره فيما من جميع جهاته ، ثم قال تعالى (وما أدراك ماسقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لاتبقى ولا تذر) أى تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم فى ذلك لايموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبوسنان وغيرهما

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أى للجلد ، وقال أبورزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة (لواحة للبشر) أى حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى (عليها تسعة عشر) أى من مقدمى الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى حارث عن عامر عن البراء فى قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما إنى سائلهم عن تربة الجنة إن أتونى ، أما إنها درمكة بيضاء » فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام فى الثانية ثم قال « أخبرونى عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن الخبز إنما يكون من الدرمك » هكذا وقع عند ابن أبى حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبوبكر البزار فى مسنده حدثنا محمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد : غلب أصحابك اليوم فقال « بأى شىء »

قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا لانعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفغلب قوم يسئلون عما لايعلمون فقالوا لانعلم حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ على بأعداءالله لكنهم قدسألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » فأرسل اليهم فدعاهم قالوا ياأبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « إن سئلتم عن تربة الجنة فهى الدرمك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « ماتربة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يا أباالقاسم فقال « الخبز من الدرمك » وهكذا رواه الترمذى عند هذه الآية عن ابن أبى عمر عن شيبان به وقال هووالبزار لايعرف إلامن حديث مجالد وقد رواه الامام أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بنقصه الدرمك فقط

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَٱلْقَمَرِ * وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ * نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

يقول تعالى (وماجعلنا أصحاب النار) أى خزانها (إلا ملائكة) أى زبانية غلاظا شدادا ؛ وذلك ردعلى مشركى قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ، فقال الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى شديدى الخلق لايقاومون ولا يغالبون ، وقد قيل إن أبا الأشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة ليتزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه ، قال السهيلى وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن ، قال وقدنسب ابن إسحاق خبرالمصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ﴿ قلت ﴾ ولا منافاة بين ماذكراه والله أعلم ، وقوله تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا منا للناس (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة مابأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أى إلى إيمانهم بمايشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى من المنافقين (والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى يقولون ما الحكمة فى ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أى من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان فى قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أى ما يعلم عددهم وكثرتهم إلاهو تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت فى حديث الاسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة « فاذا هو

يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم »

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إنى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر والله لوددت أنى شجرة تعضد ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذى حديث حسن غريب ويروى عن أبى ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن مروان الرقى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما فى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا » . وقال محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شىء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط . ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاد حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوى حدثنا عبيد بن سليمان الباهلى سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الاجدع عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما فى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقى المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بنى عمرو بن عوف حدثنى سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثنى عطاء بن زيد بن مسعود من بنى الحبلى حدثنى سليمان بن عمرو بن الربيع من بنى سالم حدثنى عبد الرحمن بن العلاء من بنى ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبى ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما تسمع يا رسول الله ؟ قال « أطت السماء وحق لها أن تئط إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا إسناد غريب جدا

ثم قال حدثنا إسحق بن محمد بن إسماعيل الفروى حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثى فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتى رجل هو أقوى منى ذراعين وأشد منى بطشا فيصرعنى ثم يدس وجهى فى التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه فى التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزنى عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما رأيك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « إن رضى عمر رحمه ، والله على ذلك لوددت أنك جئتنى برأس الحبيت » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبى جحش إن لله تعالى فى السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رفعوا رءوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله فى السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال

« أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذى الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذى العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحى الذى لا يموت ، فقلها ياعمر فى صلاتك» فقال عمر يارسول الله فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذى أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك حل وجهك» هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة ، وإسحق الفروى روى عنه البخارى ، وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والنسائى والعقيلى والدارقطنى ، وقال أبو حاتم الرازى كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحى تكلم فيه أيضا ، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلا قريبا منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبى ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا إسناد لا بأس به

وقوله تعالى (وما هى إلا ذكرى للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هى) أى النار التى وصفت (إلا ذكرى للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل إذ أدبر) أى ولى (والصبح إذا أسفر) أى أشرق (إنها لإحدى الكبر) أى العظائم يعنى النار ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً * كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ * كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

يقول تعالى مخبرا أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أى معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فانهم (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسألون المجرمين وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم (ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) أى ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نتكلم فيما لا نعلم : وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) يعنى الموت كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال رسول الله ﷺ « أما هو — يعنى عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى من كان

متصفا بمثل هذه الصفات فانه لاتنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لا محالة خالدا فيها ، ثم قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين ؟) أى فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) أى كأنهم فى نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة وابن عباس فى رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ، أو رام ، وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور. وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس: الأسد بالعربية ويقال له بالحبشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا . وقوله تعالى (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبى ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفى رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى (كلا بل لا يخافون الآخرة) أى إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها

ثم قال تعالى (كلا إنه تذكرة) أى حقا ان القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) كقوله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة . وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرنى سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وقال « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله فمن اتقى أن يجعل معى إلها كان أهلا أن غفر له » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعى به وقال الترمذى حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوى وغيرهم من حديث سهيل القطعى به : آخر تفسير سورة المدثر ولله الحمد والمنة .

(تفسير سورة القيامة وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفيا جاز الإتيان بلا قبل القسم لئلا يكيد النفى . والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا ، هكذا حكاه ابن أبى حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرآ (لأقسم بيوم القيامة) وهذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعا معا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصرى فى هذه الآية إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتى ، ما أردت بأكلتى ، ما أردت

بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه ، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامه) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللئوم ، وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: اللوامة المذمومة ، وقال قتاده (اللوامة) الفاجرة . قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس أن نجعله خفا أو حافرا وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا والظاهر من الآية أن قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجمع) أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج ، وقوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) قال سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدما ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد (ليفجر أمامه) ليمضي أمامه را كبا رأسه ، وقال الحسن لا يلفى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدما قدما إلا من عصمه الله تعالى ، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) . وقال تعالى ههنا (فإذا برق البصر) قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الأول : والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وروي عن ابن مسعود أنه قرأ (وجمع بين الشمس والقمر) . وقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى (مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من نكير) أي ليس لكم مكان تنكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والمصير . ثم قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وهكذا قال ههنا (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) . وقال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الإنسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . وقال قتادة شاهد على نفسه . وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه : وكان يقال إن في الانجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره !

وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه . وقال السدى (ولو ألقى معاذيره) حجته . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمين يسمون الستر المعذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وكقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال (لا ينفع الظالمين معذرتهم) وقال (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء) وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي أن تقرأه (فاذا قرأناه) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وأنصت (ثم ان علينا بيانه) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن نجمعه لك (وقرآنه) أن نقرئك فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة

ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحى الحق والقرآن العظيم إنهم إنما همتهم الى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة (الى ربها ناظرة) أى تراه عيانا كما رواه البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها ، لحديث أبى سعيد وأبى هريرة وهما فى الصحيحين أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال « هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ » قالوا لا ، قال « إنكم ترون ربكم كذلك » . وفى الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » وفى الصحيحين عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » . وفى افراد مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة — قال — يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر إلى ربهم وهى الزيادة » ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وفى افراد مسلم عن جابر فى حديثه « ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعنى فى عرصات القيامة ففى هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل فى العرصات وفى روضات الجنات . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبى فاخته عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر الى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن نوير قال سمعت ابن عمر فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثورى عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا فى مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهداة الأنام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهى النعم كما قال الثورى عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعى رحمه الله تعالى . ما حجب الفجار الا وقد علم أن الابرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهى قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن (وجوه يومئذ ناضرة) قال حسنة (الى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحة وقال السدى تغير ألوانها وقال ابن زيد (باسرة) أى عابسة (تظن) أى تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدى تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية — إلى قوله — وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * فى جنة عالية) فى أشباه ذلك من الآيات والسياقات

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت التراقى) إن جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يا ابن آدم هنالك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا، وإن جعلناها بمعنى حقا فظاهر أى حقا إذا بلغت التراقى أى انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والتراقى جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين) وهكذا قال ههنا (كلا إذا بلغت التراقى) ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذى تقدم فى سورة يس . والتراقى جمع ترقوة وهى قريبة من الحلقوم (وقيل من راق ؟) قال عكرمة عن ابن عباس أى من راق يرقى وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق) أى من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نصر بن على حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبى حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (وقيل من راق) قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة، وبهذا الإسناد عن ابن عباس فى قوله (والتفت الساق بالساق) قال التفت عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (والتفت الساق بالساق) يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة (والتفت الساق بالساق) الأمر العظيم بالأمر العظيم ، وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى (والتفت الساق بالساق) هما ساقاك إذا التفتا ، وفى رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدى عن أبى مالك وفى رواية عن الحسن : هو لفهما فى الكفن ، وقال الضحاك (والتفت الساق بالساق) اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى (إلى ربك يومئذ المساق) أى المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد فى حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا إخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى جذلان أشرا بطرا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال تعالى (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) وقال تعالى (إنه كان فى أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور) أى يرجع (بلى انه كان به بصيرا) وقال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى (أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى) وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر فى مشيه أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال فى مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وكقوله جل جلاله (اعملوا ما شئتم) إلى غير ذلك. وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهدى عن إسرائيل عن موسى بن أبى عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) قال : قاله النبى ﷺ لأبى جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبد الرحمن النسائى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قاله رسول الله ﷺ لأبى جهل ثم أنزله الله عز وجل ، قال ابن أبى حاتم وحدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » فقال عدو الله أبو جهل أتوعدنى يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإنى لأعز من مشى بين جبليها وقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) . قال السدى يعنى لا يبعث وقال مجاهد والشافعى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى لا يؤمر ولا ينهى ، والظاهر أن الآية تعم الحالين أى ليس يترك فى هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهى فى الدنيا محشور إلى الله فى الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداءة فقال تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) أى أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى يراق من الأصلاب فى الأرحام . (ثم كان علقة فخلق فسوى) أى فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره . ولهذا قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) ثم قال تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) أى أما هذا الذى أنشأ هذا الخلق السوى من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه . وتناول القدرة للاعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة وإما مساوية على القولين فى قوله تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) والأول أشهر كما تقدم فى سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبى عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى .) قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى .) قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابى ولا يضر ذلك وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى حدثنا سفيان حدثنى إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين .) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فانتهى إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) فليقل بلى ، ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (فبأى حديث بعده يؤمنون .) فليقل آمنا بالله » ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له من حدثك : قال رجل صدق عن أبى هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيى) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال « سبحانك وبلى » . ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان عن أبى إسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) قال سبحانك فبلى . آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الانسان وهى مكية)

قد تقدم فى صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و (هل أتى على الإنسان ؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ

قرأ هذه السورة (هل أتى على الانسان حين من الدهر ؟) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرج نفس صاحبكم — أو قال أخيكم — الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الانسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أى أخلاط ، والمشج والمشيج: الشيء المختلط بعضه فى بعض ، قال ابن عباس فى قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى (نبتليه) أى نختبره كقوله جل جلاله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (فجعلناه سميعا بصيراً) أى جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا (إنا هديناه السبيل) أى بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وكقوله جل وعلا (وهديناه النجدين) أى بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد فى المشهور عنه والجمهور . وروى عن مجاهد وأبى صالح والضحاك والسدى أنهم قالوا فى قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) يعنى خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الهاء فى قوله (إنا هديناه السبيل) تقديره فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة «أعاذك الله من إمارة السفهاء . » قال وما إمارة السفهاء ؟ قال «أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهداى ، ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وسيردون على حوضى يا كعب بن عجرة : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة ، والصلاة قربات — أو قال برهان — يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا كعب : الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها » ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم فى سورة الروم عند قوله جل جلاله (فطرة الله التى فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مامن خارج يخرج إلا ببابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؛ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته » .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب والحريق فى نار جهنم كما قال تعالى (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون * فى الحميم ثم فى النار يسجرون) ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة فى الجنة . قال الحسن: برد الكافور فى طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) أى هذا الذى مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب فى طيبه كالكافور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى (يفجرونها تفجيراً) أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانباع كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) وقال (وفجرنا خلالهما نهراً) . وقال مجاهد (يفجرونها تفجيراً) يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة ، وقال الثوالى يصرفونها حيث شاءوا ، وقوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى من حديث مالك . ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذى شره مستطير أى منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس: فاشياً ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، قال ابن جرير : ومنه قولهم: استطار الصدع فى الزجاجة واستطال ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأت فى الفؤا د صدعا على نأيها مستطيرا

يعنى ممتدا فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أى ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وروى البيهقى من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعنى امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفى الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة . وقال ابن عباس كان أسراؤهم

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أى رجاء ثواب الله ورضاه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه فى اليوم العبوس القمطرير. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه فى قوله (يوما عبوسا قمطريرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قمطريرا) قال يقبض الوجه باليسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أى فى وجوههم (وسرورا) أى فى قلوبهم ، قاله الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا تبرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هشام بن سليمان الدارانى قال قرىء على أبى سليمان الدارانى سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجميل

شهوات الإنسان تورثه الذل وتلقيه فى البلاء الطويل

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الصافات وذكر الخلاف فى الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن فى الجلوس وأن الأرائك هى السرر تحت الحجال وقوله تعالى (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) أى ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هى مزاج واحد دائم سرمدى لا يبغون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة إليهم أغصانها (وذللت قطوفها تذليلا) أى متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وجنى الجنتين دان) وقال جل وعلا (قطوفها دانية) قال مجاهد (وذللت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذللت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه . وقوله جلت عظمته (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أى يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام وهى من فضة وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قواريرا قواريرا من فضة) فالأول منصوب بخبر كان أى كانت قواريرا ، والثانى منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا (قوراير من فضة) قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وغير واحد بياض الفضة فى صفاء الزجاج والقواريرا لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هى من فضة وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له فى الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبى حاتم وقوله تعالى (قدروها تقديرا) أى على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هى معدة لذلك مقدرة بحسب رى صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح وقتادة وابن أبزى وعبيد الله بن عبيد بن عمير وقتادة والشعبى وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفى عن ابن عباس (قدروها تقديرا) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافى القول الأول فانها مقدرة فى القدر والرى

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أى ويسقون يعنى الأبرار أيضا فى هذه الأكواب (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله جل وعلا (عينا يشرب بها عباد الله) وقال ههنا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة : اسم عين فى الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة (عينا فيها تسمى سلسبيلا) عين سلسة مستقيد ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال . وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الأقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا (وإذا رأيت) أى وإذا رأيت يا محمد (ثم) أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها

وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور (رأيت نعيما وملكا كبيرا) أى مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً . وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا فى الحديث المروى من طريق ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون فى الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى . وقد روى الطبرانى ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إنى لكائن معك فى الجنة قال « نعم والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر — إلى قوله — ملكا كبيرا) فقال الحبشى وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة قال « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه فى حفرته بيده

وقوله جل جلاله (عالهم ثياب سندس خضر وإستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رقيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلى الظاهر كما هو المعهود فى اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من احداهما فأذهب الله ما فى بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أى جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً * نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾

يقول تعالى ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (فاصبر لحكم ربك) أى

كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر فى أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى أول النهار وآخره (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وكقوله تعالى (يأيها المزمل* قم الليل إلا قليلا *نصفه أو انقص منه قليلا*أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا) ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم فى حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) يعنى يوم القيامة ثم قال تعالى (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى خلقهم (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وكقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى (إن هذه تذكرة) يعنى هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى طريقا ومسلكا أى من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أى لا يقدر أحد أن يهدى نفسه ولا يدخل فى الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا (إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) أى عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى (إن الله كان عليما حكيما) ثم قال (يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) أى يهدى من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . آخر تفسير سورة الإنسان ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة المرسلات وهى مكية ﴾

قال البخارى ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثنى إبراهيم عن الأسود عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فانه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبى ﷺ « اقتلوها » فابتدرناها فذهبت فقال النبى ﷺ « وقيت شركم كما وقيتم شرها » وأخرجه مسلم أيضا من طريق الأعمش وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالمرسلات عرفا ، وفى رواية مالك عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يا بنى أذكرتنى بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب . أخرجاه فى الصحيحين من طريق مالك به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا زكريا بن سهل المروزى ثنا على بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة (والمرسلات عرفا) قال الملائكة ، وروى عن مسروق وأبى الضحى ومجاهد فى إحدى الروايات والسدى

والربيع بن أنس مثل ذلك وروى عن أبي صالح أنه قال هي الرسل وفي رواية عنه أنها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفا والناشرات نشرا) إنها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والمرسلات عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، وممن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا علي بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرا هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشرا هي المطر ، والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهكذا العاصفات هي الرياح ، يقال عصفت الرياح إذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل . وقوله تعالى (فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ، عذرا أو نذرا) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فانها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام ، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره . وقوله تعالى (إنما توعدون لواقع) هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام أي ماوعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لامحالة . ثم قال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) وكقوله تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) (وإذا السماء فرجت) أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) الآية وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) . وقوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت . وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) . ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت ليوم الفصل . وما أدراك مايوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجيء أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) وهو يوم الفصل كما قال تعالى (ليوم الفصل) ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك مايوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به (ثم نتبعهم الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير . ثم قال تعالى ممتنا على خلقه

ومحتجا على الاعادة بالبداءة (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارى عز وجل كما تقدم فى سورة يس فى حديث بشر بن جحاش « ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى جمعناه فى الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعنى إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شىء وقال الشعبى بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلنا فيها رواسى شامخات) يعنى الجبال رسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ انطَلِقُوٓا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يغنى من اللهب) أى ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقيهم حر اللهب . وقوله تعالى (إنها ترمى بشرر كالقصر) أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر (كأنه جمالة صفر) أى كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جمالة صفر) يعنى حبال السفن ، وعنه أعنى ابن عباس (جمالة صفر) قطع نحاس وقال البخارى ثنا عمرو ابن على ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما (إنها ترمى بشرر كالقصر) قال كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للبناء فنسميه القصر (كأنه جمالة صفر) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أى لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرصات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) يعنى أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر . وقوله تعالى (فإن كان لكم كيد فكيدون) تهديد شديد ووعيد أكيد أى إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى وتنجوا من حكمى فافعلوا فإنكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفى الحديث « ياعبادى إنكم لن تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضرى فتضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : ثنا على بن المنذر الطريفى الأودى ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان

ابن أبي المخارق عن أبي عبد الله الجدلي قال : أتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فكيدون) اليوم لاينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت : أيها الناس إني بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لايغيبهم عني وزر ولا تخفهم عني خافية ، الذي جعل مع الله إلها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الأسود المنتن ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبرا مستأنفا (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للمكذبين) . وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا) أي مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها (ويل يومئذ للمكذبين) كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟)

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا ابن أبي عمر ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلا أعرابيا بدويا يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفا ـ فقرأ ـ فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة . آخر تفسير سورة المرسلات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

﴿ تفسير سورة النبأ وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا * لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارا لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أى عن أى شىء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعنى الخبر الهائل المفظع الباهر قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن . والأظهر الأول لقوله (الذى هم فيه مختلفون) يعنى الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا لمنكرى القيامة (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على مايشاء من أمر المعاد وغيره فقال (ألم نجعل الأرض مهادا) أى ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أى جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعنى ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعى فى المعايش فى عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية فى سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أى يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل إذا يغشاها) وقال الشاعر:

فلما لبسن الليل أو حين نصبت له من حذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة فى قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أى سكنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أى جعلناه مشرقا نيرا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجىء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شدادا) يعنى السموات السبع فى إتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم . وقوله تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) قال العوفى عن ابن عباس : المعصرات الريح وقال ابن أبى حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وأنزلنا من المعصرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبى وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن إنها الرياح ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من المعصرات أى من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثورى واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ،كما يقال امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعنى السموات وهذا قول غريب ، والاظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أى من بينه ، وقوله جل وعلا (ماء ثجاجا) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ثجاجا منصبا وقال الثورى متتابعا وقال ابن زيد كثيرا ، قال ابن جرير ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « أفضل الحج العج والثج » يعنى صب دماء البدن هكذا قال،قلت وفى حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنعت لك الكرسف » يعنى أن تحتشى بالقطن فقالت يارسول الله هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجا ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج فى الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى (لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) أى لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للأناسى والأنعام (ونباتا) أى خضرا يؤكل رطبا (وجنات) أى بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك فى بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا * وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَآءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عزوجل كما قال تعالى (وما نؤخره إلا لأجل معدود) (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) قال مجاهد: زمرا زمرا قال ابن جرير يعنى تأتى كل أمة مع رسولها كقوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم)وقال البخارى (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) حدثنامحمد حدثناأبومعاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون سنة ؟ قال « أبيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء الا يبلى الاعظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة »(وفتحت السماء فكانت أبوابا) أى طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أى يخيل إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا* فيذرها قاعا صفصفا * لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) أى مرصدة معدة (للطاغين) وهم المردة العصاة المخالفون للرسل(مآبا)أى مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة فى قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) يعنى أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس ؛ وقال سفيان الثورى عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لا بثين فيها أحقابا) أى ماكثين فيها أحقابا وهى جمع حقب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا فى مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثورى عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد قال: قال على بن أبى طالب لهلال الهجرى ما تجدون الحقب فى كتاب الله المنزل ؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ، وهكذا روى عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدى أيضا سبعون سنة كذلك، وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواها ابن أبى حاتم . وقال بشير بن كعب ذكر لى أن الحقب الواحد ثلثمائه سنة اثنا عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم ، ثم قال ابن أبى حاتم ذكر عن عمرو بن على بن أبى بكر الاسفيدى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمى هل يخرج من النار أحد ؟ فقال حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصرى مشهور

وقال السدى (لا يثين فيها احقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائه وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) وقال خالد ابن معدان هذه الآية وقوله تعالى (إلا ما شاء ربك) فى أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود فى النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الربيع بن أنس (لا يثين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عزوجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير ، وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى لا يجدون فى جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حميما وغساقا) قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه ، وقد قدمنا الكلام على الغساق فى سورة ص بما أغنى عن إعادته — أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه — قال ابن جرير وقيل المراد بقوله (لا يذوقون فيها بردا) يعنى النوم كما قال الكندى

بردت مراشفها علىّ فصدنى * عنها وعن قبلاتها البرد

يعنى بالبرد النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد . وقد رواه ابن أبى حاتم من طريق السدى عن مرة الطيب وتقله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوى عن أبى عبيدة والكسائى أيضا : وقوله تعالى (جزاء وفاقا) أى هذا الذى صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التى كانوا يعملونها فى الدنيا : قاله مجاهد وقتادة وغير واحد . ثم قال تعالى (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أى لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون (وكذبوا بآياتنا كذابا) أى وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التى أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله (كذابا) أى تكذيبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع أعرابى يستفتى الفراء على المروة : الحلق أحب إليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم .

لقد طال ما ثبطتنى عن صحابتى * وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى (وكل شىء أحصيناه كتابا) أى وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أى يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبى أيوب الأزدى عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم فى مزيد من العذاب أبدا ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصورى حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمى عن أشد آية فى كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال « هلك القوم بمعاصيهم الله عزوجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مفازا)

قال ابن عباس والضحاك: متنزها. وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار. والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حدائق) والحدائق البساتين من النخيل وغيرها (وأعنابا وكواعب أترابا) أى وحورا كواعب، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أى نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أى فى سن واحد كما تقدم بيانه فى سورة الواقعة. قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكى حدثنى أبى عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم الدمشقى عن أبى أمامة أنه سمعه يحدث عن النبى ﷺ أنه قال «إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا ترويدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب» وقوله تعالى (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة متتابعة. وقال عكرمة صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد (دهاقا) الملأى المترعة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هى المتتابعة. وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنه وإحسانه ورحمته. عطاء حسابا أى كافيا وافيا سالما كثيرا، تقول العرب أعطانى فأحسبنى أى كفانى ومنه حسبى الله أى الله كافى

﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا * يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذى شملت رحمته كل شىء، وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) أى لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتى لا تكلم نفسه إلا بإذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال ﴿أحدها﴾ ما رواه العوفى عن ابن عباس أنهم أرواح بنى آدم ﴿الثانى﴾ هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه ﴿الثالث﴾ أنهم خلق من خلق الله على صور بنى آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش ﴿الرابع﴾ هو جبريل قاله الشعبى وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحى ﴿الخامس﴾ أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الآية ﴿والسادس﴾ أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يقوم الروح) قال هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا. وقال ابن جرير حدثنى محمد بن خلف العسقلانى حدثنا رواد بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح فى السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجىء يوم القيامة صفا وحده. وهذا قول غريب جداً. وقد قال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصرى حدثنا وهب الله بن روق ابن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعى حدثنى عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه سبحانك حيث كنت» وهذا حديث غريب جداً وفى رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هـذه الأقوال كلها والأشبه عنـدى والله أعلم أنهم بنو آدم . وقوله تعـالى (إلا من أذن له الرحمن) كقوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) وكما ثبت فى الصحيح « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » وقوله تعـالى (وقال صوابا) أى حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى (ذلك اليوم الحق) أى الـكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لأن كل ما هو آت آت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه)أى يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها ، قديمها وحديثها كقوله تعالى(ووجدوا ما عملوا حاضرا) وكقوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (ويقول الـكافر يا ليتنى كنت ترابا) أى يود الـكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدى الملائـكة السفرة الـكرام البررة ، وقيل إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحـكم بينها قال لها كونى ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الـكافر (ياليتنى كنت ترابا) أى كنت حيوانا فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا فى حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما . آخر تفسير سورة النبإ ولله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة النازعات وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ * أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى (النازعات غرقا) الملائـكة يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق فى نزعها ، ومنهم من تأخـذ روحه بسهوله وكأنما حلته من نشاط وهو قوله (والناشطات نشطا) قاله ابن عباس وعن ابن عباس (والنازعات)هى أنفس الـكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق فى النار . رواه ابن أبى حاتم وقال مجاهد (والنازعات غرقا) الموت ، وقال الحسن وقتادة (والنازعات غرقا * والناشطات نشطا) هى النجوم ، وقال عطاء بن أبى رباح فى قوله تعالى والنازعات والناشطات هى القسى فى القتال والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى (والسابحات سبحا) فقال ابن مسعود هى الملائـكة ، وروى عن على ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحا) الموت، وقال قتادة هى النجوم ، وقال عطاء بن أبى رباح :هى السفن . وقوله تعالى (فالسابقات سبقا) روى عن على ومسروق ومجاهد وأبى صالح والحسن البصرى يعنى الملائـكة ، قال الحسن سبقت إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد الموت وقال قتادة: هى النجوم ، وقال عطاء هى الخيل فى سبيل الله . وقوله تعالى (فالمدبرات أمرا) قال على ومجاهد وعطاء وأبو صـالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى هى الملائـكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا فى هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شىء من ذلك إلا أنه حكى فى المدبرات أمرا أنها الملائـكة ولا أثبت ولا نفى . وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الأولى وهى قوله جل وعلا (يوم ترجف الراجفة) فـكقوله جلت عظمته (يوم ترجف الأرض والجبال) والثانية وهى الرادفة فهى

كقوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن أبى الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ، قال « إذاً يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى باسناده مثله ولفظ الترمذى وابن أبى حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أى أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة أى ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم فى إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد ، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه (قالوا تلك إذاً كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها هى النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة ، وأما قولهم (تلك إذاً كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) أى فإنما هو أمر من الله لامثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور نفخة البعث فاذا الأولون والآخرون قيام بين يدى الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أوهو أقرب) قال مجاهد (فإنما هى زجرة واحدة) صيحة واحدة وقال إبراهيم التيمى أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصرى زجرة من الغضب وقال أبومالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هى النفخة الآخرة وقوله تعالى (فإذاهم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبوصالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض ، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان المستوى ، وقال الثورى الساهرة أرض الشام ، وقال عثمان بن أبى العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم ، وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السرى حدثنا مصعب ابن ثابت عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى (فإذا هم بالساهرة) قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقى ، وقال الربيع بن أنس (فإذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) ويقول تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجاً ولا أمتا) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وبرزت الأرض التى عليها الجبال وهى لاتعد من هذه الأرض وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ * إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

يخبر تعالى رسوله محمدا ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره (إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي تجبر وتمرد وعتا (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ماجاءه به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ماجاء به حق لايلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له . وقوله تعالى (ثم أدبر يسعى) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الأعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون) وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كلتاه الأولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لاشك فيه الأول ، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۞ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۞ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقوله تعالى (بناها) فسره بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء . وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلما أسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ، قال ابن عباس : أغطش ليلها أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أنار نهارها . وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) فسره بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاها) ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك . وقوله تعالى (والجبال أرساها) أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم . الرءوف بخلقه الرحيم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب

عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم : الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم : النار ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم : الريح ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم : ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله » وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الأرض تمعست وقالت تخلق على آدم وذريته يلقون على نتنهم ويعجلون على بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لاترون وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه . غريب جدا . وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أى دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون اليه من الأنعام التى يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها فى هذه الدار إلى أن ينتهى الأمد وينقضى الأجل

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

يقول تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر)(يوم يتذكر الإنسان ماسعى) أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الأنسان وأنى له الذكرى) (وبرزت الجحيم لمن يرى) أى أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا (فأما من طغى) أى تمرد وعتا (وآثر الحياة الدنيا) أى قدمها على أمر دينه وأخراه (فان الجحيم هى المأوى) أى فان مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أى خاف القيام بين يدى الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها (فان الجنة هى المأوى) أى منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) أى ليس علمها اليك ولاالى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذى يعلم وقتها على التعيين (ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنها قل انما علمها عند الله) وقال ههنا (الى ربك منتهاها) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) أى إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشى الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية أوضحاها) أى اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أوضحى من يوم، قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس (أوضحاها) ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة: وقت الدنيا فى أعين القوم حين عاينوا الآخرة . آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة .